**نظرية النمو الاجتماعي – الانفعالي "أريك أريكسون"**

**Socio – emotional Development Theory “E. Erikson”**

**د/ محسن لطفي أحمد**

**أستاذ علم النفس الاجتماعي المشارك**

تعد نظرية النمو الاجتماعي – الانفعالي لـ "إريك إريكسون" E. Erikson واحدة من بين نظريات النمو النفسي الفريدة؛ نظرا لتميزها بتغطية النمو النفسي للفرد خلال فترات الحياة المختلفة من الميلاد وحتى الشيخوخة وعدم اقتصارها؛ شأن الغالبية العظمى من نظريات النمو النفسي؛ على مرحلتي الطفولة والمراهقة، وتقوم هذه النظرية في الأساس على الأفكار التي أوردها "سيجموند فرويد" S. Fruid مؤسس نظرية التحليل النفسي؛ بيد أنها حاولت كنظرية أضافة بعد نفسي اجتماعي لنظرية "فرويد" التي اقتصرت على النمو النفسي الجنسي. (Bruner,1987 : 8 ; Douvan, 1997: 15)، ويتمثل الاختلاف الجوهري بين النظريتين في دوافع السلوك الإنساني؛ ففي الوقت الذي أكد فيه "فرويد" على أن دوافع السلوك الإنساني تكمن في النواحي البيولوجية؛ وبالتحديد في الغرائز البيولوجية المتمثلة في غريزتي (الحياة والموت)؛ يؤكد "إريكسون" على أن القوى الأكثر اهمية في استثارة السلوك الإنساني ونمو الشخصية تتمثل في التفاعلات الاجتماعية المتبادلة للإنسان في عالم الخبرة الاجتماعية، وبذلك يكون قد أعطى أهمية للجوانب الاجتماعية في نمو وتطور الشخصية. (Erikson,1950)

ويرى "إريكسون" أن كلا من النضج وحاجات المجتمع معا يؤديان إلى خلق مجموعة من الأزمات Crises للفرد يتعين عليه تجاوزها وحلها بصورة إيجابية لضمان سواء وانتظام مسار نموه النفسي والاجتماعي، وكل أزمة من هذه الأزمات تسود في مرحلة معينة من مراحل العمر الثمانية وفقا لتقسيم "إريكسون"، وعلى الفرد في كل مرحلة أن يتوصل لحل أو تجاوز إيجابي قبل أن يواجه بأزمة أخرى تتعلق بمرحلة لاحقة، وغالبا ما ينقل النجاح أو الإخفاق في حل الأزمة إلى مرحلة الأزمة التالية؛ مما يعقد بطبيعة الحال عملية حل أو تجاوز الأزمة الجديدة؛ بل ويمثل أساس التعامل معها. ( ; Erikson,1968ميللر، 2005: 146)

وقد قدم "إريكسون" وصفا للمراحل الثمان التي يمر بها الفرد، وأطلق اسما محددا لكل مرحلة منها وفقا لما يترتب عليها من إيجابيات في حال حل الأزمة أو سلبيات في حال الفشل في حلها، كما حدد فترة عمرية لكل مرحلة، وقدم وصفا لأهم مظاهر النمو النفسي والاجتماعي بها(Erikson, 1950; Erikson, 1968; Lassegard, 1991: 25-32; Ramdhan, 2010: 4 ؛ الأشول، 1982 : 80؛ قتادي، 1992 : 39؛ زهران، 1995: 73؛ جابر، 1986: 82) وفيما يلي نتناول كل منها:

**المرحلة الأولى: (الثقة في مقابل عدم الثقة Trust VS. Mistrust )**

وتتمثل هذه المرحلة في العامين الأولين من العمر؛ وتقابل المرحلة الفمية Oral Stage لدى "فرويد"، ويرى "إريكسون" أن الغرض الأساسي لهذه المرحلة يتمثل في تنمية الثقة لدى الطفل من دون إزالة الإحساس بعدم الثقة تماما، ويؤكد على أن تغذية الطفل الجيدة من قبل الأم، وتوفير درجة عالية من الألفة والانسجام والتقبل والحب والحنان من قبل الأبوان معا تنمي لديه الشعور بالثقة والأمن والتفاؤل، وتجعله ينمو اجتماعيا ولديه توقعا بأن المجتمع سوف يوفر له الحب والأمان مثلما كانت رعاية الأبوين له، وبالتبعية فإن هذا الطفل سوف يتعلم الثقة بالأخرين، كما ستنمو لديه الثقة بإمكاناته الجسمية ودوافعه البيولوجية التي تنمو وتستمر معه، وعلى العكس من ذلك؛ إذا كان الأبوان غير محل ثقة ولا يتمتعان بالأهلية لذلك، وإذا قاما برفض الطفل أو إلحاق الأذى به، وقام الأخرون بنفس ما قام به الوالدان؛ فإن هذا الطفل سينمو لديه شعورا بعدم الثقة في الأخرين، وسيتوقع الشر منهم، وسيترتب على ذلك أن يصبح شكاكا فيمن حوله من الناس، وقد يميل إلى الحقد أو الانسحاب الذي يتميز بأعراض الاكتئاب أو البرانويا أو الاضطراب النفسي.

ووفقا لما يطرحه "إريكسون" عن هذه المرحلة يمكننا أن نتوقع بأن إخفاق من يتولوا تنشئة الأطفال خلال هذه المرحلة في توفير درجة من الحب والتقبل لهذا الطفل سوف يتبعه نمو اجتماعي ممزوج بعدم الثقة في الذات وفي الأخرين، وسوف ينمو لديه شعورا بأن المجتمع لن يوفر له أيضا الحب والحنان؛ ومن ثم سوف يكون هذا الطفل عرضة للشك فيمن حوله، وستولد لديه إحساسا بالحقد أو الرغبة في الانسحاب؛ وعليه فهي من أخطر المراحل في حياة الأطفال، وربما يترتب عليها مشكلات عدة في المراحل المقبلة.

**المرحلة الثانية: (الاستقلالية مقابل الشك والخجل Autonomy VS. Shame & Doubt)**

وتبدأ هذه المرحلة من سن سنتين إلى أربع سنوات تقريبا، وتقابل المرحلة الشرجية لدى "فرويد"، ويرى "إريكسون" أن الغرض الأساسي لهذه المرحلة هو إنجاز درجة من الاستقلالية وتقليل الشعور بالخجل والشك لدى الطفل، ووفقا لرؤيته فإنه إذا قام الوالدان أو أي شخص أخر يقع تحت هذا الوصف بالسماح للطفل عندما يقوم بالمشي باكتشاف واستخدام ما يقع في بيئته، وإذا تمت عمليات تعلم الطفل لبعض السلوكيات على نحو سوي وجيد كالتدريب على الإخراج؛ فإن هذا الطفل سينمو لديه شعورا بالاستقلالية، وفي المقابل ينمو لدى الطفل شعورا بالخجل والشك عندما يمنع الأبوان أو من يحل محلهم وبقوة أي محاولة لدى الطفل للاستكشاف وأن يصبح مستقلا بنفسه.

وهكذا يتضح كيف أن الطفل في هذه المرحلة في حاجة ماسة لأن يساعده من يقوموا على تنشئته على اكتشاف البيئة والتعامل مع مفرداتها بحرية ويسر؛ وهو أمر يفعله الوالدين برغبة وحب لمساعدة الطفل على الاستقلال، ومن ثم إن لم يتوافر للأطفال تلك المشاعر من قبل القائمون على تنشئتهم؛ وخاصة في هذه المراحل المبكرة؛ فضلا عن مثابرتهم في تعليم الطفل بعض السلوكيات الضرورية؛ فإننا نتوقع أن ينمو لدى هؤلاء الأطفال مشاعر خجل وشك وسينمو لديم سلوك الاعتمادية، كما سيتسم سلوكهم بالاندفاعية وعدم التروي.

**المرحلة الثالثة: (المبادأة في مقابل الشعور بالذنب Initiative VS. Guilt )**

وتبدأ هذه المرحلة من عمر ثلاث سنوات ونصف أو أربع سنوات وحتى سن المدرسة، والمهمة التي تواجه كل طفل في هذه المرحلة وفقا لـ "إريكسون" هي تعلم القدرة على المبادأة من دون شعور كبير بالذنب، والأطفال في هذه المرحلة ونتيجة لنموهم السريع وتشجيع الوالدين يتعلمون التخيل واللعب بنشاط، وتتسع مهاراتهم، كما يتعلمون التعاون مع الغير بما في ذلك أن يقودوا أو ينقادوا، أما إذا أعيق نمو الطفل في هذه المرحلة والذي قد يحدث كنتيجة لعدم حل الموقف الأوديبي Oedipus Situation ؛والمستقي من نظرية التحليل النفسي لـ "فرويد"؛ فإنه سينمو لديه شعورا بالذنب، ويصبح إنسانا مترددا واقفا على هامش الأحداث، معتمدا على الكبار لتلبية حاجاته.

ومن ثم يمكن أن نتوقع أن حرمان الطفل من تشجيع من يقوموا على تنشئته لأن يتخيل ويلعب وتتسع مهاراته؛ فغالبا سينشأ هذا الطفل ولديه طبيعة قاسية ويصبح مترددا واعتماديا، كما سيعاني من مشاعر الكبت التي تسفر عن مشكلات عدة في المراحل التالية.

**المرحلة الرابعة: (الاجتهاد في مقابل الشعور بالنقص Industry VS. Inferiority)**

وتبدأ هذه المرحلة من سن السادسة تقريبا إلى الثانية عشرة، وهي مرحلة الكمون؛ والمهمة الأساسية في هذه المرحلة تتمثل في تنمية القدرة على المثابرة أو العطاء وتجنب الشعور بالنقص، والطفل في هذه المرحلة ونتيجة لاحتكاكه بالعديد من التجارب الجديدة؛ سرعان ما يدرك انه في حاجة إلى أن يجد له مكانا بين الأطفال الأخرين الذين هم في مثل سنه، لذلك فإنه يوجه كل طاقاته نحو معالجة المشاكل الاجتماعية المحيطة به والتي يحاول أن يسيطر عليها بنجاح حتى لا يكون متخلفا عن رفقاء سنه أو أقل منهم، وفي هذه المرحلة يتعلم الطفل المهارات اللازمة للمشاركة في النشاطات الرسمية للحياة؛ كأن يتعلم التعامل مع الجماعة تبعا لقواعد عامة، وأن ينتقل من اللعب الحر إلى اللعب المنظم الهادف، ويشارك في الواجبات المنزلية. ويرى "إريكسون" أنه يتحتم على الوالدين أو من يحل محلهم أو المعلمين عدم وضع الطفل في زاوية ضيقة لإثبات جدارته بحجة أنه طفل ولا يستطيع القيام إلا بمهام محددة، كما يجب ألا يهملوا في تنويع وتوسيع اهتمامات الطفل، فالنجاح يعزز لدى الطفل سلوك بذل الجهد ويعلمه الاجتهاد والمثابرة، والفشل يترتب عليه شعورا بالنقص.

إزاء هذا التصور يتحتم على القائمين على تنشئة الأطفال السعي إلى توسيع المهام المسندة إليهم وحثهم على الاجتهاد والمثابرة، كما يجب على القائمين عليهم تنويع وتوسيع النشاطات التي تقدم لهم وتدريبهم على بذل الجهد حتى لا يتسرب إليهم الشعور بالنقص، أو ينتابهم أحساسا بقلة الامكانيات أو القصور في الذات.

**المرحلة الخامسة: (الشعور بالهوية مقابل اضطراب الهوية Ego identity VS. Role confusion)**

تبدأ هذه المرحلة من سن البلوغ وتنتهي في سن الثامنة عشر أو العشرين من العمر، وتتمثل في فترة المراهقة، والمهمة الأساسية في هذه المرحلة هي التعرف على هوية الأنا وتجنب صراع الهوية، ويرى "إريكسون" أن هذه المرحلة تمثل الأساس لأنماط التفكير في كل المراحل القادمة، وتعني "هوية الأنا" معرفة الفرد لأناه؛ والتي تتبلور لديه عند الإجابة على عدة أسئلة من قبيل (من أنا؟ ومن أكون بالنسبة لهذا المجتمع الذي أعيش فيه؟ ما العمل الذي أرغب في أن أقوم به مستقبلا؟ ما القيم والمعتقدات التي تنظم وتقود مسيرة حياتي؟ ما النمط العام للحياة الذي أفضله على غيره؟ ما طبيعة الجماعة التي أفضل الانتماء إليها والتعامل معها؟ )، والواقع أنه إذا لم يتحقق ذلك فإنه يمكن القول بأن المراهق يعاني اضطرابات الهوية أو الدور؛ فعدم وجود إجابة لأي من الأسئلة السابقة تجعل المراهق يتبنى هوية سالبة، ويشير "إريكسون" إلى أن ذلك عادة ما يكون نتيجة لاضطراب النمو في مراحل سابقة أو نتيجة للعوامل الاجتماعية غير المساندة.

ونستطيع القول بأن هذه المرحلة من أخطر المراحل التي يمر بها الأفراد؛ فوفقا لتصور "إريكسون" لهذه المرحلة تزداد احتمالية حدوث اضطرابات في هوية البعض، كما نتوقع حدوث تعصبا في الانتماء لمن يقعون تحت الظروف السيئة وينمو لديهم رفضا لمعظم فئات المجتمع الأخرى.

**المرحلة السادسة: (الألفة مقابل العزلة Intimacy VS. Isolation )**

تبدأ هذه المرحلة من أواخر عمر الثامنة عشر إلى الخامسة والعشرين من العمر وتسمى بمرحلة الشباب أو الرشد المبكر، والمهمة الأساسية في هذه المرحلة تتمثل في إنجاز بعض درجات ما يسمى بالمودة أو الألفة؛ والتي تعني البقاء قريبا ومحبوبا من الأخرين كمحب أو صديق أو مشارك في المجتمع لأن هذا ينمي الإحساس الواضح بالأنا، فالراشد يحتاج في هذه المرحلة تأكيد ذاته أكثر ولا سيما دوره الجنسي، ويحتاج لإثبات هويته عن طريق رفيق ما (Couple - hood)، ويتجسد ذلك في الرغبة في الاستقلال والزواج. والخطر الأساسي في هذه المرحلة يتمثل في الاستغراق في الذات أو تجنيبها للعلاقات بين الشخصية التي تلزم الفرد بالألفة والانغماس الاجتماعي، وقد بين "إريكسون" أنه في حالات العزلة المتطرفة قد تظهر الشخصية السيكوباتية (المضادة للمجتمع) والتي تستغل الأخرين وتستخدمهم دون أحساس بالندم، والحل الصحي هو تكوين جانب نفسي اجتماعي قوي في شخصية الراشد وهو الحب؛ والذي لا يعني بالضرورة حب الجنس الأخر؛ بل الحب للأصدقاء والجيران ورفقاء العمل وحتى للمواطن من نفس البلد.

وفي ضوء ما سبق يمكننا أن نتصور أن انغماس البعض في ذواتهم نظرا لظروفهم الاجتماعية، ومحاولة انسحاب بعضهم من المجتمع وتجنبهم للعلاقات مع الأخرين؛ قد يؤدي إلى ظهور بعض السلوكيات المضادة للمجتمع (الشخصية السيكوباتية)، وقد ينمي ذلك لديهم الشعور بعدم الانتماء.

**المرحلة السابعة: (الإنتاجية مقابل الركود Generativety VS. Stagnation )**

تبدأ هذه المرحلة من سن الخامسة والعشرين تقريبا وحتى أواخر الخمسينيات، وتسمى مرحلة الرشد الوسطى (منتصف العمر)، ويرى "إريكسون" أن التزام الفرد بمشاعر الحب الحميمة تساعده علىى تأسيس وحدة جديدة تقوم على الثقة والألفة المتبادلين؛ ولا يتأتى ذلك إلا من خلال المشاركة في إعداد منزل الزوجية لبدء دورة جديد من النمو، وتتميز هذه المرحلة باكتساب الشعور بالإنتاج والإثمار وتجنب الشعور بالركود، ولا يقتصر الإنتاج على التكاثر فقط أو تربية الأطفال؛ وإنما يمتد ليشمل القيام بعديد من الأعمال الخلاقة مثل تعلم الآداب والعلوم المختلفة والفاعلية الاجتماعية والمساهمة في الأعمال الخيرية .. إلخ، وفي المقابل يأتي الاختيار الثاني في هذه المرحلة وهو "الركود" والذي قد يأتي كنتيجة لتشتت طاقات الفرد في مواضع كثيرة دون عمق؛ أي المبالغة في المشاركات غير الفعالة في محاولة لتوكيد الذات، أو قد يكون نتيجة للاستغراق في الذات.

وتبدو هذه المرحلة أيضا من المراحل الخطيرة بالنسبة للفرد ؛ فقد يؤدي الاستغراق في الذات؛ والناتج من الإخفاق في المراحل السابقة؛ إلى إجهاض مشاعر الحب المتبادلة مع الأخرين وغياب الثقة والألفة معهم؛ ومن ثم يسود الركود كما يصوره "إريكسون"، والذي تتبدى صوره في فشل العلاقات الزوجية، أو عدم التوافق الأسري.

**المرحلة الثامنة: (تكامل الأنا مقابل اليأس Ego integrity VS. Despair)**

تبدأ هذه المرحلة في الستينيات من العمر، وهي المرحلة الأخيرة ويرى "إريكسون" أن المهمة في هذه المرحلة تتمثل في الإحساس بتكامل الأنا وتجنب اليأس قدر الإمكان، ويؤكد على أنه إذا مرت الأزمات السبع الماضية بسلام فإن الفرد يصل إلى قمة التكيف المتمثل في النمو المتكامل، فالفرد المتكامل يثق في نفسه ويشعر بالاستقلال ويعمل بجدية ويجد لنفسه دورا في الحياة وينمي في نفسه مفهوما ثابتا عن ذاته ويكون سعيدا بهذا المفهوم ويصبح ودودا دون تردد أو شعور بالذنب كما يصبح فخورا بما يبتكر وينتج سواء من أبناء أو عمل أو هوايات، وفي هذه المرحلة يقف الفرد موقف المتأمل من حياته السابقة؛ فإذا رأى أن حياته كانت منتظمة وتحققت أهدافه فرح واستبشر وطور شعورا بتكامل الذات، وأدرك أن الحلقة الأخيرة من حياته تنسجم مع ما سبقها من مراحل، وأن حياته لم تكن عبثا، وفي المقابل يقود الفشل في المراحل السابقة إلى اليأس والاشمئزاز والذي يقود إلى الإصابة بعدة أمراض كالاكتئاب وتوهم المرض وبعض أنماط ذهان الشيخوخة.

وعليه نتوقع بالنسبة من تعثروا في المراحل السابقة نتيجة لمتغيرات عدة؛ أن يمروا بهذه الأحاسيس التي تتسم باليأس والاشمئزاز وربما الوقوع فريسة لبعض الأمراض النفسية والجسمية.

.

المراجع:

* الأشول، عادل عز الدين (1982) علم نفس النمو، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
* جابر، جابر عبد الحميد (1986) نظريات الشخصية، البناء- النمو- طرق البحث- التقويم، القاهرة، دار النهضة العربية.
* زهران، حامد عبد السلام (1995) علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، القاهرة، عالم الكتاب.
* قتادي، هدى محمد (1992) سيكولوجية المراهقة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
* ميللر، باتريشيا (2005) نظريات النمو، ترجمة سالم، محمود عوض وأخرون، عمان، الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر.
* Bruner, J.S. (1987). The artist as an analyst, A review of a way of looking at things: selected papers from 1930 – 1980, by E. Erikson, The New York review, 3, p. 8 – 13.
* Douvan, E. (1997). Erik Erikson: Critical Times, Critical Theory. Child Psychiatry and Human Development. Vol. 28 (1), 15 – 21.
* Erikson, E. (1950). Childhood and society, New York: Norton.
* Erikson, E. (1968). Identity: Youth and Crisis. New York: Norton.
* Lassegard, M. A. (1991). Erikson's Theory of psychosocial development applied to predict adolescents' safer- sex attitudes and behavior. Kansas, Bell & Howell Information Company.
* Ramdhan, N. (2010). Child development in War-Torn countries and Erik Erikson psychosocial theory of human development. Brooklyn, Pro Quest LLC.